القرون التي ليس للشرق فيها ذكرٌ يؤثَر ولا اثرٌ يُذكَر ولا خرج الشرقيّ منهُ الا بما احتقب من ظلمات العصور الغوابر وازداد عليهِ ما لحقهُ في هذا العصر من الذلّ والمفاقر فلا اختطّ لنفسهِ سبيلاً يبلغ بهِ الى مواطن الفلاح ولا اقام لهُ عزًّا يعصمهُ من تطاول الطامع والمجتاح فضلاً عن ان ينشئ لنفسهِ فخراً يدوّن في صحيفة الاحقاب او اثراً يرفع من بصر الذراريّ والاعقاب ولكن عصر الشرقيّ ان نشط للجري في سبيل الامم الراقية والحصول على المجد الصاعد والمفاخر الباقية هو هذا القرن الذي ابتدأناهُ عن أَمَم اذا جعل رائدهُ الى ذلك صادق الهمم ولم يتكل في بلوغهِ على الاقدار و القِسَم والله المسؤول ان يهدي خطواتنا الى اقوم سبيل بفضلهِ تعالى وتسديدهِ انهُ بالنجاح كفيل وهو حسبنا ونعم الوكيل

فضائل القرن التاسع عشر

بقلم حضرة الكاتب خليل افندي الجاويش

اذا اردنا ان نعرف كنه القرن التاسع عشر وندرك قيمتهُ حق الادراك وجب علينا ان نعقد مقارنةً بينهُ وبين تاريخ الانسان منذ نشوئهِ الى الآن لانهُ زبدة العصور الخوالي ومجموع ما اتى بهِ الاواخر والاوالي . غير ان الانسان مهما كان واسع الاطلاع قويّ الحافظة مجيداً في الوصف فانهُ يحار ويتيه في تعديد ما خلفهُ القرن العابر من آثارٍ حسان وبدائع تجلّ عن البيان وغرائب صيرتهُ « بمنزلة الربيع من الزمان » ولذلك رأيت ان اجتزئ

بايراد ما تركهُ من جلائل الشؤون وعظائم الامور وكفى بهِ شاهداً بمزيتهِ على كل ما سبقهُ من العصور

واول ما ابدأ بالكلام على البخار لانهُ بكر مواليد هذا القرن الذي ذلل بهِ متون البحار حتى لقبهُ كثيرون عصر الملاحة . وقد بلغ البخار معظم شهرة واتقان آلاتهِ بين السنة الخامسة والعشرين والسنة الخامسة والسبعين من هذا القرن . ثم تلتهُ الكهربائية ولكنها لم تزل حتى الآن مقصرة عن شق غبارهِ وادراك آثارهِ . وقد صدق من قال ان البخار عنوان هذا القرن ورأس اختراعاتهِ اذ لولاهُ لما قصرت أبعاد وتدانت مسافاتٌ طوال وتصاقبت ديار كانت شقة الاسفار بينها

مهالك لم تصحب بها الذئبَ نفسهُ ولا حملت فيها الغرابَ قوادمهْ

ولولاهُ لما امكن جعل مدة السفر في المحيط الاتلنتيكي اقل من ستة ايام بعد ان كانت ستة وثلاثين يوماً . ولولاهُ لما تسنى لارباب السياسة والرئاسة ان يقلبوا وجه الارض ويبدلوا خرائط الجغرافية ويضرب كلٌّ منهم لوناً على خريطة اشارةً الى ارضٍ ملكها وبلادٍ دوّخها . ولولاهُ لما استطاعت دول اوربا ان تخمد ثورة الصين الحاضرة في بضعة اشهر ولتعذر على انكلترا ان تجرّ هذا الجيش العرمرم الى جنوبي افريقيا وما يتبعهُ من الذخائر . بل هو لو كان موجوداً في زمن الاسطول الاسباني الشهير الملقب بالأرمادة لما فُلَّ لهُ شملٌ وتبدد قِدداً في عُرض المحيط بقوة الرياح التي كانت تسوق اشرعتهُ الى حيث شاءت لان الرياح تجري بما لا تشتهي السفن . فقد ابطل البخار قول المتنبي واطلق الانسان من اسر الريح وقيد المدّ والجزر

وان لم يطلقهُ من إسار العواصف والانوآء . وقد اصبح بقوّة البخار يركب الدُرّاجة البخارية فيسبق الفرس السريع ويستقل القطار فيسابق الرياح ويقطع ميلاً في الدقيقة ويركب السفينة فيسبق الطائر والمآء يرغي ويزبد والجوّ يبرق ويرعد . وبهِ اصبح العالمون جيراناً وصير الدنيا كلها اشبه بمدينةٍ مشاعة فاصبح الناس يتراسلون ويتعاملون على اسهل اسلوب فهو اذاً روح الارض وعماد العمران والحضارة ومشيد دعائم الدول والممالك ودخانهُ اذا انعقد في سمآء بلادٍ انزل عليها مطر الخيرات والنعم وكان اعظم بركةً عليها من الغيوم والدِيَم

ومن اشهر ما يذكر في هذا القرن بعد البخار فن الحديد اي صناعة الآلات دقيقها وجليلها على مقتضى علم الحيَليات اي الميكانيك وقد اخترع من هذه الآلات ما يفوق الحصر من آلة الساعة التي لا تكاد ترى حتى اصبحت الساعة تشابه حبة العدس الى دولابٍ يهولك منظرهُ ضخامةً وعِظَماً الى مدفعٍ يخرب مدينةً في يومٍ واحد الى برجٍ كبرج ايفل يهزّ رأسهُ ساخراً من برج بابل الى ما شاكل ذلك من الآلات المتنوعة المخصصة لكل صناعة المسهلة لكل عمل المعطلة يدٌ منها لأيدي مئاتٍ من العمال المرصدة لكل فرعٍ من فروع الاعمال حتى الذي لا يؤبَه لهُ ولا يُعتدّ بهِ فضلاً عن تحسين كل آلةٍ واداةٍ جآء بها اهل القرون الخالية وزيادة فائدتها ورونقها . ويدخل في باب الصناعة اختراع التلغراف والتلفون والحاكي (الفونغراف) والسينيماتغراف (الصور المتحركة) والفوتغراف والتلغراف بانواعهِ والمناظير الكبيرة كمنظار معرض باريز الاخير والتصوير

على الزجاج والنحاس واختراع الديناميت والميلينيت وسائر المواد المنفجرة وغاز الاستصباح والنور الكهربآئي والاسيتيلين واشعة رنتجن التي تريك شرايين الانسان تنبض ومعدتهُ تهضم وقلبهُ يخفق فضلاً عن التقدم الذي حصل في فن الطباعة والوراقة والصحافة والموسيقى . واعجب منهُ تقدم العلوم النقلية والعقلية والطبيعية والاجتماعية ففي الكيميآء مثلاً اكتشف العلامة پستور مبدأ الاختمار وعالم المكروبات فقلب نظام الطب والجراحة تماماً وادّى اكتشافهُ هذا الى استنباط لقاح السل ولا يزال ناقصاً ولقاح الدفثيريا وقد وضح نفعهُ ولقاح الطاعون وسم الافاعي وهما تحت التجربة وفتح باباً واسعاً لاستئصال كل فسادٍ ينشأ عن الجراثيم المرضية . وفي العلوم الطبيعية نبغ داروين فوضع مذهب التحول العضوي وتنازع البقآء وهو مشهور ونجم عن هذا المذهب معرفة كنه الخلايا في كل حي وناموس الرجعة في علم الأجنة وقيام الدليل الواضح على قِدَم الانسان وعصر الجمد وتأثيرهِ في سطح الارض . وفي الطب اكتشفوا طبيعة الكريات البيضآء في الدم ووظيفتها . والجراحة لا تُحصى ضروب تقدمها وكفى انهم قد يستخرجون المعدة ويعيضون عنها بالقناة الهضمية . وفي علم الفلك اكتشف العلامة لڤرّياي السيار نبتون احد سيارات النظام الشمسي (سنة ٤٦) وعرفوا طبيعة النيازك والنجوم المذنبة . وفي علم الطبيعة توصلوا الى قياس سرعة النور وادركوا ماهية دقائق الغازات ووُفّقوا الى تجميد الهوآء ونحوهِ من العناصر . وفي الفلسفة نبغ كونت الفرنسوي صاحب الفلسفة الوضعية وهكل الالماني وهو صاحب طريقة اخرى ونبغ في الكتابة والشعر اناسٌ

كثيرون من كل امةٍ يطول تعدادهم منهم ڤكتور هوغو والسير ولتر سكوت واللرد بايرُن وبوشكن اعظم شعرآء الروس . وفي العلوم الطبيعية داروين وتندل وهكسلي وهمبلت وفاراداي وغير هؤلآء ولو شئنا ان نعدد سائر من اتى بهم هذا القرن من الفحول والنوابغ في كل فن لطال السرد كثيراً كما اننا لو اردنا ان نستوفي الكلام على كل اختراع واكتشاف وابداع ظهر فيهِ لوجب ان نفرد لكل علم وصناعة وفن بحثاً طويلاً مبوباً مما يقتضي مجلداً ضخماً

اما في عالم السياسة فقد نبغ ناپوليون بوناپرت الاول اعظم فاتح ظهر في المعمورة وبسمرك داهية المانيا وتيرس وغمبتا ودزرائيلي وغلادستون وغورتشاكوف ودي جيرس واندراسي وكافور وغاريبلدي وغيرهم . واهم ما حدث في الدنيا خلال القرن الغابر سقوط ناپوليون ونفيهُ الى جزيرة القديسة هيلانة وموتهُ فيها واستقلال اليونان وحرب القريم وثورة الهند على الانكليز وحرب السبعين وحرب روسيا والدولة العلية وحرب اميركا واسبانيا مما افضى الى سقوط هذه الدولة وحرب الترنسڤال ولا تزال مشبوبة النار حتى الساعة واتساع املاك انكلترا وانتشار هيبتها حتى صارت مساحة ما تحكمهُ نحو ١٢ مليون ميل مربع وعدد رعايا الدولة ٤٠٠ مليون نسمة منهم ٦٠ مليوناً يتكلمون بالانكليزية ويحكمون انفسهم بانفسهم اي في انكلترا وارلندا وكندا واستراليا وزيلندا الجديدة . وكذلك اتساع اميركا اي الولايات المتحدة وازدياد سكانها حتى بلغوا نحو ٧٧ مليوناً بعد ان كانوا نحو خمسة ملايين ونصف في سنة ١٨٠١ وكانت روسيا تحوي ٣٨ مليوناً في اوائل القرن فاصبح عدد سكانها الآن ١٢٠ مليوناً وهي كل يوم في فتوحٍ وتبسُّط .

ومما اذهل الدنيا تقدم اليابان في اواخر العصر الفائت ولحاقها باوربا في كل شيءٍ يقابلهُ تأخر جارتها الصين مع ان سكان البلادين من اصلٍ واحد

وآخر ما يليق ذكرهُ في هذا الباب تهافت اوربا على اقتسام افريقيا بحيث لا تمضي بضع سنوات حتى لا يعود فيها شبر ارض غير داخل في ولاية دولةٍ منها وكل هذه شؤون سياسية معروفة ولكن المقام اقتضى الالماع اليها تكملةً للبحث . وفي الختام اقول ان القرن التاسع عشر بلغ المدى وتجاوز الحدّ في الامور المادية ولكنهُ اسفر عن تقصير عظيم في الامور الادبية والشؤون الكمالية التي تجعل الانسان انساناً صحيحاً فتحول فكرهُ الى مغاني السعادة الحقة وتقلل مطامعهُ في زخرف الدنيا وزينتها ولكن بعضهم يؤمل ان يكون القرن العشرون هو الكفيل بابلاغنا تلك الغاية القصوى على ان اوائلهُ تنذر بعكس هذا الامل فعسى ان تنقلب الآية ويتغلب الهدى على الغواية وعسى ان لا يكون القرن الجديد كالسنديان يبدأ السوس باكلهِ من رأسهِ لا من جذعهِ ومن يعش يرَه

الموشح

لحضرة الفاضل قسطاكي افندي الحمصي

هو اسمٌ لهذا النوع المعروف من الشعر وقد يسمَّى موشحة ذهاباً الى القصيدة فيقال موشحة ابن خلوف اي قصيدتهُ الموشحة وتوشحت المرأة في اللغة لبست الوشاح وهو قطعة من نسيج شبه القلادة تُرصَّع بالجواهر ومن هذا يتبين لك الشرف الذي ارادوا ان يَسِموا بهِ هذا النوع من الشعر